ابْنُ التلاميد ... المَعْلَمَةُ الشنقيطية الخالدةُ

د. إدريس ولد عتيه

لعل من المهم الإشارةَ إلى أن الجَهد الإنهاضيَّ الترقويَّ للغة العربية في وقتنا الراهن يستلزم العودة إلى الماضي التليد لبعض الرواد الخالدين الذين تركوا آثارا لا تُمحى وخدمات لا تُنسى وتضحيات جُلَّى في سجل لغة الضاد؛ إن استلهام سيَر هؤلاء العظماء هو خير نبراس تُذكر به مآثرُهم فتشكر؛ لتَستَأنِسَ بذلك الأجيالُ الحاضرة واللاحقة بوصف أولئك الأفذاذ شُعلاً مضيئةً في سماء الضادية يرصّعون تاجها، ويزينون تاريخها الممتدَّ عبر حقب طويلة، بيد أن العربية ـــ على الرغم من عمرها المديد ذاك ـــ ماتزال خَوْدَ اللغات غضَّةَ الشباب في كامل القوة والعطاء؛ مما يجعل أجيالنا تهتدي بهدي هؤلاء لرفع التحدي الحائق بالفصحى اليوم على الرغم من الصعوبات الجمة التي واجهت أولئك الأسلاف فقهروها وبزوها.

إن هذا البحث إذًا يستهدف استعراضَ بعض المراحل العلمية الحافلة؛ لواحدٍ من علماء العربية الكَونيين البارزين في العصر الحديث إذ يتمحض للتعريف بعلم من أعلام شنقيط اللامعين، الذين تركوا بَصماتهم واضحةً ليس علي المنظومة المعرفية لبلادنا فحسبُ؛ وإنما امتدت آثار ذلك لتشمل التأثير في مجمل المنظومة المعرفية العربية الإسلامية نهايةَ القرن التاسعَ عشرَ وبدايةَ القرن العشرين المَاضيَيْن، إنه الشيخ محمد محمود ولد التلاميد التركزي المعروف في المشرق العربي بالشنقيطي (النسبة القديمة إلى موريتانيا الحالية)، وهي نسبة اشترك فيها مع بعض أعلام الحركة العلمية من بلادنا الذين زاروا المشرق العربي إلماما أو إقامة أو تدريسا.

اسمه ونسبه:

هو محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي، ويلقب والده بالتْلاميدْ بالدال المهملة (وهو تصحيف عامي للتلاميذ) لكثرة تلاميذه.

نشأته وشيوخه:

ولد عام١٢٤٥هـ بآفطوطَ وسط موريتانيا في أسرة علمية، وبدأ التعلم على أبويه وأخواله، ثم درس على أيدي شيوخ علم نذكر منهم:

- عبدَ الوهاب بْنَ اكتوشني العلوي.
- الشيخَ سيديا الكبيرَ.
- الشيخ محمد الصغير العلوي.

كما أخذ الحديث عن محمد المختار بن الأعمش الجكني التيندويف١.

رحلاته:

بدأها برحلة الحج عام ١٢٨٠هـ ومر في طريقه بتيندوف ومراكش وفاس ومصر، ثم دخل مكة المكرمة سنة ١٢٨٣هـ والمدينة المنورة سنه ١٢٨٤هـ، وصار يتردد بين الحرمين الشريفين ورحل إلي الأستانة ثلاث مرات، كان في الأخيرة منها يشكو إلى الباب العالي مظالم تتعلق بأوقاف الشناقطة في المدينة المنورة، ثم أوفده السلطان عبد الحميد الثاني إلي أوروبا سنة ١٣٠٤هـ ، لإعداد لائحة لأهم المخطوطات العربية هناك فتجول في إسبانيا وزار باريس ولندن، يقول ابن التلاميد واصفا رحلته في قصيدة مطلعها:

يا ريحَ طيبةَ هُبِّي لي صباح مسا
واستصحبي من أريج المصطفى نَفسا

ويقول أيضا واصفا ليل باريسَ الطويلَ:

ما ليل صول ولا ليل التمام معا
كليل باريس أو ليلي بأندلس
لم أدر أيهما أقوى محافظـة
على الظلام وحجب الصبح بالحرس٢

ثم عاد من رحلته تلك إلى الأستانة، ودعاه أوسكارُ الثاني ملك السويد إلى المؤتمر الثامن للمجمع الشرقي لاستوكهولم، ولكنه لم يستطع تلبية الدعوة؛ لأنه اشترط شروطا لم يُلَبِّهَا أوسكارُ الثاني المذكور، وقد حدد سفير السويد الكونت لندبرك الذي حضر إلى الأستانة خصيصا؛ ليعرف مدى التحضير لزيارة الشيخ محمد محمود للسويد، وحدد السفير مضمون قصيدة اقترح قولها على الشيخ؛ سيمدح بها الشيخُ محمد محمود بن التلاميد أوسكارَ الثانيَ ملكَ السويد منها:

- × مدح الملك بحب العلم والحرص على نشره وتوقير أهله
- × أنه نص في طلبه للسلطان عبد الحميد الثاني على اسم ابن التلاميد
- × أن ينص الشيخ على الإضافة الجديدة التي أضافها إلى العلوم اللغوية والشرعية
- × أن يذكر في هذه القصيدة أسماء قبائل العرب المشهورة
- × أن يذكر اسمه حتى لا يَدَّعِيَهَا غيره٣

يقول الشيخ محمد محمود من هذه القصيدة التي مدح بها أوسكارَ الثانيَ ملك السويد:

أ أوسكارُ ذا الثاني سآتيك وافدا
على بابك السامي لمجمعك الضخم؟

ثم عاد إلي المدينة المنورة ولكنه اختلف مع بعض علمائها فضايقوه حتى هاجر إلى مصر سنة ١٣٠٧هـ وأقام بها إلى أن توفي عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤ بالقاهرة بمصر، وقد أشرف على جنازته الشيخ محمد عبده.

معاصروه وعلاقاته بهم:

كان الشيخ محمد محمود ولد التلاميد ظاهرة فريدة؛ إذ يمثل عودة الزمان القَهقَرَى إلى جيل الحفاظ من العلماء في صدر الدولتين: الأموية والعباسية، كما كان نموذجا فذا عليه عبرَ كثيرٌ من المنظومة المعرفية التي كان التعليم الأهلي في الغرب الإسلامي بيئةً خصبةً لها.

ولعل المرء لا يبالغ إذا قال: إن تضافر جهود نخبة من رجال العلم والأدب والفكر في المشرق العربي، واعتمادَ جزء منها (خاصة اللغوية والشرعية)، على الشيخ محمد محمود بن التلاميد لحفظه؛ مضربِ المثل وتَمَطُّسه في العلوم الشرعية واللغوية، هو ما أثمر جزءا كبيرا من تلك الهَبَّةَ النهضيةَ التي انبثقت من أولئك الرجال ليتسنى بعد ذلك الولوج -تحقيقا ونشرا واستيعابا- إلى كثير من أمَّات التراث في الأدب واللغة والأصول والحديث وغير ذلك.

ولعل تلك المكانة العلمية للشيخ محمد محمود هي التي دعت الشيخَ محمد عبده مُفتيَ الديار المصرية يومئذ، إلى تكليف ابن التلاميد تدريسَ علوم اللغة العربية في الأزهر الشريف، وتصحيحَ كثير من أمَّات التراث.

وما لبثت شهرة الشيخ أن طبّقت الآفاق وصار له في المشرق خاصة في بلاد الحرمين الشريفين ومصر تلامذةٌ وأصدقاء كُثُرٌ، نذكر من هؤلاء الأصدقاء تلامذتَه: الكاتبَ المصريَّ الشهيرَ محمد حسن الزيات، الذي وصف الشيخ محمد محمود بن التلاميد قائلا: (إنه هيكل ضئيل وبدن نحيل ووجه ضامر، ولون أخضرُ وصوت خفيض، فمن يراه لأول مرة، لا يصدق أن هذا الجِرم الصغير قد جاب البر والبحر وطاف الشرقَ والغرب، وكافح الأنداد والخصوم، ووعى صدرُه معاجمَ اللغة وصَحاحَ السنة ودواوينَ الشعراء وعلم الآداب، يلبس قفطانا من القطن ويرتدي جبة دَكنَاءَ من الصوف ويعتَمُّ عمامة مكية قد أرخى لها عذَبَةً على ظهره)٥.

وإضافة إلى العلاقة العلمية بين الشيخين: محمد محمود ولد التلاميد ومحمد عبده، الذي أجرى على ابن التلاميد راتبا من الأوقاف وأسند إليه -كما أسلفنا- تدريس علوم اللغة العربية في الأزهر الشريف، فقد كان للشيخ محمد محمود مكانة خاصة في قلب الشيخ محمد عبده، وانطوى له على وداد لازمه طَوال حياته.

ومن تلامذته الذين درسهم في الأزهر: الدكتور طه حسين الذي وصف علم الشيخ قائلا: (كان أولئك الطلبة الكبار -طلبة الأزهر- يتحدثون بأنهم لم يروا ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة، ورواية الحديث -سندا ومتنا- عن ظهر قلب، كانوا يذكرون له مكتبة غنية: بالمخطوط والمطبوع في مصر وفي أوروبا، وأنه لم يقنع بهذه المكتبة، وإنما ينفق أكثر وقته في دار الكتاب قارئا أو ناسخا!)٦.

كما كان للشيخ مكانة متميزة في كوكبة من رجال السياسة والأدب

والفكر آخرين٧.

علمه وحفظه:

انفرد عن معاصريه بإتقان اللغة والأنساب؛ فكان إمامَ عصره في هذين الفنين، وأعانته على ذلك ذاكرة لقَّاطَةٌ لقَّافةٌ تستبقي كل ما تسمع أو تقرأ، لا تترك منه نقيرا إذ كان يحفظ ـــوهذا ما يجمع عليه أخصامه قبل أنصاره من معاصريهـــ معاجمَ اللغة والأمثالَ والأخبارَ ودواوينَ الشعر متنا وسندا، ولعل من أوضح ما يجلي هذه الحقيقة تلك الشهادةَ الرائعة التي تركها كثير ممن عاصروه أو تتلمذوا له من كبار أهل الأدب والعلم، سواء في الحجاز أو في مصر أو في أوروبا أو في بلاط الخلافة العثمانية بالأستانة؛ فمن ذلك ما يتجلى من شهادة السفير السويدي يومئذ بمصر الكونت كارلودي لندبرج٨.

مكتبته:

عرف ابن التلاميد بحبه لجمع الكتب والعكوف على مقابلتها وتصحيحها بحيث لا يمل ذلك!

نسخ الكثير منها بخطه الجيد وضبطه الصحيح الدقيق وجمع كل ما وصلت إليه يده من المخطوطات والمطبوعات حتى كون مكتبة كبرى فيها خمسة وأربعون وثلاث مائة من المخطوطات النادرة، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية، وبلغ به الأمر أن احتج على قرار نُظَّار الحكومة المصرية حين حجروا على استنساخ الكتب من دار الكتب الكبرى (الكتبخانة) الأميرية بقصيدة نظمها بهذا الخصوص٩.

أخلاقه:

كان حرا في أفكاره حادَّ الطبع، شديدا في الحق فسبب له ذلك وقوعَه في كثير من الخلافات والخصومات مع معاصريه.

ومع إقرارنا بافتقادنا سجلا كافيا لتفاصيل المراحل الأولى من حياة ابن التلاميد؛ فإنه يمكننا ـــ استقراءً من أهم الأحداث التي طبعت حياة الرجل واستنطاقا لأسلوبه التعبيري ومنهجه في التعامل مع الأبحاث العلمية ومعاصريه سواء كانوا أهل علم وأدب أو أصحاب جاه وسلطانـــ أن نستخلص جملة من الخصائص النفسية والخلقية التي تحلى بها الرجل؛ ومن أهمها:

× الحدة النفسية والتعبيرية التي تجد تفسيرها -على ما يمكن زعمه في البنية النفسية الخاصة التي لا نعرف عنها كثيرا وإن كان منشأ طفولة ابن التلاميذ يبدو كأنه تم في ظروف عادية؛ إذ ترعرع في حضن والديه ودرس على والده وأخواله وأبناء عمومته، في وسط عائلي واجتماعي متزن ومنسجم، قبل أن يواصل رحلته العلمية المحلية في الفضاء الشنقيطي الأقرب الذي يفترض أنه هذا المجال الذي يمتد من أطراف تكانت إلى بلاد اترارزه مرورا بمنطقة آفطوط والبراكنه الحالية، ويتكئ زعمنا هذا على الإشارات التي نجدها على لسان ابن التلاميد نفسه وإحالته ـــإشادة به وحنينا ـــ إلى مراحل حياته الأولى ووسطه العائلي والبيئة العلمية أحيانا إذ يومئ في قصائده أو في تعليقاته واستطراداته المضمنة في رحلته إلى ذلك١٠.

× روح الإباء والعزة والاعتداد بالنفس: وتتجلى هذه الخاصية النفسية في سلوك الرجل وفي مواقفه من الأحداث ويمكن الوقوف بسهولة على نماذج – تصريحا أو تلميحا- في ثنايا قصائد الرجل، فمن ذلك: موقفه من السلطان العثماني إذ رفض تسليمه نتائجَ رحلته إلى بلاد أوروبا خاصة إسبانيا لفهرسة الكتب العربية في مكتبات الأندلس وأوروبا ـــعموماـــ؛ لمَّا لم يوف السلطان بالتزاماته نحوه مما جر عليه غضبه؛ وهو ما أشار إليه في ميميته الشهيرة:

فما إن قضوا أمرا ولا بلغوا مدى
ولا اعتذروا من ضر بؤس ولا عدم١١

كما يتجلى شغف الرجل بالمجد وأسباب نيل المعالي في بعض أشعاره- تجسيدا لسلوكه-، يقول في قصيدة جعل موضوعها التحضيض على السعي للمجد ومصاحبة الكرام:

أغير المجد يَطَّلب الهمام
أبعد المجد مرتبة ترام
فمن هو في الدنى للخير ساع
وللأخرى له سعي مدام
تعلق قلبه بالمجد طفلا
ولما يلهه عنه الندام١٢

× الشعور بالنبوغ والسموق المعرفي الذي حازه الرجل مع الإحساس بنوع من الغبن والإقصاء في الإطار الزماني والحضاري الذي عاش فيه (من ذلك امتعاضه من إخلال السلطان

العثماني بالتزاماته له ورفضه منحه مكافأة على تسجيله الكتبَ العربية بالأندلس كما أسلفنا) وذلك على الرغم من إنصاف كثيرين له وإقرارهم بعلو كعبه وريادته؛ إذ يتضح من استقراء نصوص رحلته غلبة مثل هذا الشعور عليه مع إحساس بنوع من المرارة وردة الفعل الجامحة على سوء المعاملة والتجهيل والتخطئة ممن يراهم دونه مكانة في العلم ومنهم من كان من تلاميذه، كما يتجلى مثلا في حدة لهجته وهو ينقد بعض معاصريه من أهل الحجاز خصوصا البرزنجيين والشيخ عبد الجليل براده١٣. ويمكن أن نتلمس بعضا من نماذج هذا الشعور المزدوج فيما توحي إليه بعض إشارات ابن التلاميذ وإلغازاته وأحاجيه اللغوية .١٤

× الروح النقدية والتجديدية: وتتجلى في اعتماده الموضوعية والأدلة ورفض التقليد الأعمى عند مقاربة الإشكالات والقضايا العلمية والمعرفية، وهو ما أسسه الرجل نظريا١٥ وطبقه عمليا في نقد بعض معاصريه ومجابهة خصومه بل في مراجعة أقوال السلف وتخطئتهم أحيانا كما حصل مع قضية صرف عمر المثيرة للجدل١٦ .

تحليل نماذج من شعر ونثر ابن التلاميذ:

مع التحفظ من الوقوع في وهم قراءة النزعة السيرية ___الزاعم إمكانَ قراءة النص الأدبي من سيرة مؤلفه أو عكس ذلك بقراءة حياة المؤلف من ثنايا نصوصه١٧___؛ فإنه يمكننا القول إن قراءة ___ولو عجلَى___ لبعض نصوص ابن التلاميذ، شعرا ونثرا- من شأنها تجلية بعض خصال الرجل واستقراء بعض خصائصه النفسية والتعبيرية والعلمية.

وإذا كنا قد ألمعنا إلى بعض من الخصائص النفسية والخلقية لابن التلاميذ عند الحديث عن أخلاقه السلوكية ومنهجيته العلمية؛ فإن المقاربات التحليلية الأولية التالية تستهدف استجلاء بعض خصائصه الفنية والتعبيرية من خلال نماذج من نثره وشعره.

تحليل نماذج شعرية:

- القصيدة الميمية:

تعد القصيدة الميمية الكبرى التي صدر بها ابن التلاميذ رحلته نموذجا متكامل الخصائص لمنهج ابن التلاميذ الأدبي والعلمي؛ ذلك أن هذه القصيدة تعد تجسيدا للخصائص النفسية والتعبيرية لهذه الشخصية الفذة، وقد ألمعنا إلى تلك الخصائص من قبل ومن أهمها:

× الحدة النفسية والتعبيرية

× الشعور بالنبوغ والتفوق المعرفي مع إحساس بالمرارة والغبن وذلك في مزاوجة ذات دلالة بين هذه الملامح وبين الرقة التعبيرية التي تطبع جزءا كبيرا من أعمال الرجل الفنية كما أشرنا إلى ذلك في التعليق على قصيدته لوصف رحلته إلى باريس والأندلس١٨.

تبدأ هذه القصيدة بأبيات تجسد اعتداد الرجل بنفسه وتظهر في الوقت نفسه سلاسته الأسلوبية:

ألا طرقت مي فتى مطلع النجم
غريبا عن الأوطان في أمم العجم
فتى من مصاص العرب قد جاء شاكيا
تَعَديَ أهل الجور والظلم والهضم

ثم يتحدث عن اصطفاء السلطان العثماني له لتكليفه بمهمة خاصة ألا وهي تمثيل العالم الإسلامي في المجمع العلمي السويدي باستوكهولم ___نزولا عند طلب أوسكار الثاني ملك السويد___:

أأنت الذي اختارتك من أهل طيبة
ملوك السويد في مجادلها الشم
فرامت من السلطان بعثك وافد
عليهم خصوصا أجل مجمعها العلمي
فكان من السلطان أمرك بعد
شرطت أمورا لم تصادف أولي عزم
فساعفتهم تسعى بنفس عزيزة
وتنظر أن تُقضى أمورُك بالتَّم١٩

وبعد وصف ابتداء رحلته ووصفه لمركوبه (السفينة) ومقارنتها بالجمل ونُجب الخيل مستعرضا مظهرا آخر من قدراته اللغوية الفذة، يخلص ابن التلاميذ إلى التنويه بملك السويد أوسكار الثاني على دعوته والإشادة بمبادرته، مشيرا إلى موضوع الدعوة وأهميتها؛ ولا يفوت القارئَ اعتدادُه بنفسه واعتزازه بمكانته العلمية ونبوغه حتى وهو يمدح الملك:

أ أوسكارُ ذا الثانـي سآتيك وافدا
على بابك السامي لمجمعك الضخم
نحلتك مدحـي إذ علت بك همة
فراسلت تبغينـي لتقبسَ من علمي

ونوهت لي باسمي وما كان خاملا
لتجمع بين الاسم عندك والجسم
فحبَّرتَ باسمي خطبة عربية
فسارت بها الركبان في النجد والتهم[٢٠]

وعن نقده لأهل الجهل وأدعياء العلم من معاصريه يقول:

ولم أعتمد إلا على الله وحده
وأبرأ ممن خاض في الغيب بالرجم
ولم أعتمد إلا على الله وحده
وأبرأ ممن قال في العلم بالوهم[٢١]

ومن فخره واعتزازه بنفسه:

أنا المغربي المشرقي حمية
أذب عن القطرين بالسيف والسهم

وعن نشأته العلمية وشيوخه في وسطه العائلي:

شغفت بحب العلم طفلا مُتَمَّمًا
فصار غذاء الروح واللحم والعظم

وبعد الحديث عن رحلته في طلب العلم وتجشمه في سبيله كلَّ الأخطار والمشاق، يتحدث عن بعض ما يعده إنجازات علميةً لم يسبق إليها فيخوضَ في مسألة صرف «عمر» التي أثارت ضجة وجدلا علميا كبيرا؛ بسبب رأيه فيها وتخطئته النحاةَ من قبله.

ثم يختم هذه القصيدة ___التي يمكن عَدُّهَا تلخيصا لمسيرة الرجل الحافلة بالبحث والتحصيل العلمي والمناظرة والرحلات والمعارك العلمية___ برثائه لنفسه، متأسيا بفعل بعض مشاهير الشعراء العرب مثل مالك بن الريب، يقول:

فهل من بواكٍ لي بذا الشرق إن أمت
وبالغرب خالاتي به وبه أمي
تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى
كتب تُختان بعديَ أو علمي[٢٢]

ثم يعدد صنوف العلوم والفنون التي ستبكيه، واحدا بعد آخر، موثقا بعض أعماله في تصحيح وإخراج بعض أمهات التراث اللغوي والمعجمي العربية كالمخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروز آبادي[٢٣].

- القصيدة السِّينية:

وموضوعها ذكر رحلته إلى الأندلس للاطلاع على كتب العرب وشوقه إلى بلاد الحرمين وإلى النبي(ص) وصاحبيه)أبي بكر وعمر)، يقول فيها:

يا ريحَ طيبةَ هبي لي صباحَ مسا
واستصحبي من أريج المصطفى نفَسا
واستصحبي من عبير الصاحبَين شذىً
يفوق مشمومُه المشمومَ والهبسا
ونفحةً من شذاها كنت أعهدها
تَشفي الضجيع إذا ما شم أو لمسا
وطيبَ أنفاسها بعد الكرى سحرا
كي تُذهِبي عن غريب لوعةً وأسى
شيخ من العرب العرباء ليس له
منها نديم ولا ردءٌ ولا جُلَسا
إلى مدينة خير الرسْل موطنه
يشتاق جَدًّا إذا ما ليله دَمَسا
ما كان يحسب أن الدهر يبعده
إلا إذا غار عنها أو إذا جلسا
حتى تجاوز بحر الروم مغتربا
يَؤُمُّ أندلسا والصبحُ ما عَطَسا[٢٤]

ودون السعي إلى تحليل فني أو نقدي واف لهذه القصيدة، فإنه يمكن الخروج من قراءتها بجملة استنتاجات منبئة عن خصائص التعبير الشعري عند الرجل، وذلك على النحو التالي:

- الرقة التعبيرية والنفسية:

على الرغم مما عرف عن ابن التلاميد من حدة طبع وجسارة نفسية وشدة في القول – عند الحديث عن مخالفيه ونقدهم – فلا يصعب على القارئ المُتمعن لنماذج من شعره أن يلاقيَ مظهرا نفسيا وتعبيريا آخر للرجل تطبعه السلاسة في التعبير والرقة العاطفية، ومن النماذج التي يتجلى فيها ذلك تلك المقطوعات الشعرية التي كتبها وهو في ديار الغربة عن العالم الإسلامي وديار العرب.

فأول ما يظهر من هذه المقطوعة هو الرقة التعبيرية والعاطفة النفسية الجياشة ___شوقا وحنينا إلى ربوع الحجاز وخاصة المدينة المنورة؛ فها نحن نجد ابن التلاميد___ وهو الذي ما أطول ما خبر الأسفار وجاب البقاع من غرب العالم الإسلامي إلى شرقه، بْن التلاميذ ذا النفس القوية والعزيمة التي لا تلين يكاد يبكي لهفة وتحنانا، فهو ينادي ___مستخدما «ياء» النداء للبعيد___ رياح طيبة وهو اسم المدينة المنورة أن تهب عليه صباحا ومساء وأن تحمل معها من أريج المصطفى صلى الله عيه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر شذى وعبيرا يهون عليه مكابدة آلام الفراق ولوعة الغربة.

وتتجلى الرقة في السجل اللفظي باختيار ألفاظ رقيقة قوامها أصوات

ذات جرس خفيف ونبرة مهموسة حيث تشيع فيها حروف الهمس (الحاء ، والهاء، والصاد، والسين: في كلمات: هبي، صباح، ومساء واستصحبي، ونفسا، وشذى، ومشموم، وهبسا....)، ثم القافية المنتهية بالسين المفتوحة المدودة بألف الإطلاق مع توالي ثلاث فتحات والانتهاء بسكون إشباع: (نفسا، وهبسا، ولمسا، وجلسا، وعطسا)، مما يحدث صوتا ذا رنة حزينة يحكي الأسى والحزن والتحسر٢٥.

- التكرار الترابطي والتوكيدي:

ثم هناك نوع من التكرار الترابطي الذي يبدو أنه ذو وظيفة مزدوجة، فهو من ناحية، توثيق وزيادة للترابط الداخلي للنص، وهو من ناحية أخرى- لعلها الأهم- ينبئ عن اهتمام وولع نفسي- بالموضوع مثل: استصحبي، واستصحبي، وشذى، وشذاها، ومشمومة، والمشموم.. الخ.

- الجزالة التعبيرية والموسوعية ونبرة التحدي:

وفي مقابل هذا الملمح أو الجانب من شخصية ابن التلاميذ وخصائصه التعبيرية؛ نجد في القطعة ذاتها مظهرا آخر من خصائصه الأسلوبية ـــــوملامح أخرى من بنيته النفسية- ألا وهو الجزالة التعبيرية والموسوعية اللغوية الأدبية وروح أو نبرة التحدي إن لم يكن الاستعراض العلمي المعرفي، من ناحية، ثم هناك الهمة العالية وروح العظمة والسعي إلى المجد بتحصيل العلم وتجشم الصعاب في سبيله تحقيقا لأحلام الذات وإنهاض أمة العرب والذود عنها وعن القطر الشنقيطي خصوصا تارة، والبحث عن أمجادها التاريخية وتراثها العلمي الضائع في ما وراء البحار أثناء انتدابه لفهرسة الآثار العلمية العربية الإسلامية في الأندلس تارة أخرى.

ففي المنحى الأول المتعلق بإبراز ابن التلاميذ علوَّ كعبه في لغة العرب العرباء فيما يمكن أن نَدعوَه استعراضا لـ«قدراته» المعرفية نجد المقطع التاليَ من سينية ابن التلاميذ في شأن رحلته إلى بلاد الأندلس للاطلاع على كتب العرب:

ما كان يحسب أن الدهر يبعده
إلا إذا غار عنها أو إذا جلسا
حتى تجاوز بحر الروم مغتربا
يؤم أندلسا والصبح ما عطسا

إلى أن يقول:

وذاك سعي لكسب المجد فزت به
قد جال في خاطري قدْمًا وقد هَجَسَا٢٦

ثم يقول في وصف السفينة التي أقلته محيلا إلى نجائبَ من الإبل مستعرضا حقلا لفظيا دلاليا- يحشد فيه قدراته اللسانية وخبرته الواسعة بلغة العرب مستعرضا أوصاف النجائب وأنواعَها وسلالاتِها وأسماءَ الأعشابِ وأدواتِ الرائض (برة، وزمام، وحال، ومرس، ونقب ...)، وأسماءَ الإبل وأسنانهَا مثل: الرُّبَع ، والهُبَع، والبازل والسديس ..الخ.

ثم يستعرض مظهرا آخرَ في معرفته الأدبية التاريخية الواسعة بالشعر العربي وهو يصف هذه السفينة، مشيرا إلى أن ركوبها مثير مستجيش لقول الشعر، مضيفا أن شعراء العرب الأوائل لو ركبوها لما ذكروا قلاص الإبل وما وصفوا النعام بل انبهروا بها:

من عزه الشعر قولا حين يركبها
تفجر الشعر فورا منه وانبجسا
فلو بلاها زهير كان ممتحنا
بله القلاص عليها كعبه الندسا٢٧

ثم يعرج إلى موضوع رحلته وهو تتبع وتسجيل كتب العرب بالأندلس ثم يعود إلى ندب الأندلس الضائعة وتعود به الروح العاطفية الجياشة ـــمن جديدـــ التي تجمع وصف حال الأمة وما أصابها من وهن وما ضاع منها من أمجاد وكيف تغلب عليها أعداؤها وطووا أمجادها في الأندلس منذ قرون، في نبرة حزينة ولقطات واصفة لحال الأندلس مصورا مآثر العرب والمسلمين بها.

بعض مميزات النثر عند ابن التلاميذ

يمكن القول ـــبعد قراءة نماذج من نثر ابن التلاميذ كما ورد في رحلتهـــ أن النثر التلاميدي يتميز بجملة من الخصائص لعل من أهمها:

× تمكن ابن التلاميذ من الأساليب البديعية السائدة حينئذ كاستعمال السجع والطباق والإطناب واعتمادها لا إظهارا لقدراته فحسب ؛وإنما سيرا مع العرف التعبيري والأدبي السائد.

× ومع ذلك اتسم أسلوب ابن التلاميذ

النثري بالسهولة اللفظية والابتعاد عن الغريب وحوشي الألفاظ، ولعل مرد ذلك إلى غلبة أسلوب المناظرة، سعيا إلى وصف الحقائق المعرفية وإبداء المَلاحظ وإيصال الأفكار، في مناقشاته ومناظراته العلمية بخصوص قضايا النحو واللغة والشعر والأنساب مع مخالفيه كما تكشف عنه رحلته.

× اعتماده كثيرا على الاستطراد وإيراد الشواهد الشعرية والأمثال، ولعل ذلك تخفيف من جفاف وقسوة المحاجات العلمية، مما يضفي إمتاعا أكبر على مضامين رحلته وكتاباته. ولعل ما للأمثال خصوصا ما يتعلق بأهميتها الكبرى في النسيج الأدبي العربي وفي الاستعانة بها في إبلاغ مراد القوم كل ذلك هو ما جعله يُعنى بها،٢٨ونجد نماذج متعددة من إيراد ابن التلاميد لها في ثنايا رحلته٢٩.

مقاصد ابن التلاميد وتأثيراته:

يفترض أن الشيخ محمد محمود بن التلاميد، لو كان فقط يريد تأدية فريضة الحج، وينفتل من ذلك لفعل، جوارا للبلاد المقدسة أو عودة إلى بلده الأصلي، بيد أن الشيخ كان يقصد ـــعلى ما أرىـــ أهدافا أخرى غيرَ ذلك، وإلا يكن ذلك كذلك ؛ فبم نفسر سفر الشيخ إلى مصر وإقامته فيها التي تعزى إلى المضايقات التي لقيها من بعض علماء الحجاز؟

إن هذا السبب ـــوإن كان لا يعدم وجاهةـــ لا يكفي منفردا لتأويل إصرار الشيخ على الإقامة في مصر دون غيرها٣٠.

ذلك أنه عندما وصل الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي إلى مصر ـــإثر المضايقات التي لقيها في الحجازـــأحس بمهمة كبرى تنتظره تتعلق بإنهاض الأمة ؛ لذا انقطع إلى مطالعة نفائس الكتب وتصحيح نسخها، فما لبث المصريون أن استكشفوا عبقريته إذ بهر (ابن التلاميد) المصريين بحفظه وعلمه، وأحس بعض المثقفين بضرورة الإفادة من المنهج الذي يمثله الشيخ التركزي، وهو المنهج المحضري القائم على الاهتمام بالحفظ، وبتدريس علوم اللغة العربية٣١.

ولعل المرء لا يبالغ إذا قال: إن تضافر جهود نخبة من رجال العلم والأدب والفكر في المشرق العربي، واعتماد جزء منها (خاصة اللغوية والشرعية)، على الشيخ محمد محمود بن التلاميد لحفظه: مضربِ المثل وتنطسه في العلوم الشرعية واللغوية، هو ما أسهم في إثمار تلك الهبة النهضية التي انبثقت من أولئك الرجال ليتسنى بعد ذلك الولوج ـــ تحقيقا ونشرا واستيعابا ـــ إلى بعض أمَّات التراث في الأدب واللغة والأصول والحديث وغير ذلك.

ولعل تلك المكانة العلمية للشيخ محمد محمود هي التي دعت الشيخ محمد عبده مفتيَ الديار المصرية يومئذ، إلى تكليف ابن التلاميد تدريسَ علوم اللغة العربية في الأزهر الشريف، وتصحيحَ كثير من أمَّات التراث٣٢.

وإضافة إلى العلاقة العلمية بين الشيخين: محمد محمود ولد التلاميد ومحمد عبده: الذي أجرى على ابن التلاميد راتبا من الأوقاف وأسند إليه ـــكما أسلفناـــ تدريس علوم اللغة العربية في الأزهر الشريف، فقد كان للشيخ محمد محمود مكانة خاصة في قلب الشيخ محمد عبده، وانطوى له على وداد لازمه طوال حياته كما أسلفنا. وقد أشار ابن التلاميد إلى ذلك في قصيدته الميمية في رثائه لنفسه، ذاكراـــ في وفاء وإخلاصـــ أنه تذكر أن ليس له من يبكيه إلا المفتيَ محمد عبده وأبوابَ العلم ومجالاته المتعددةَ، يقول:

تذكرت من يبكي علي فلم أجد
سوى كتب تُختان من بعدي أو علمي
وغير الفتى المفتي محمد عبده
الصديق الصدوق الصادق الود والكلم٣٣

ويتجلى جانب آخرُ من تأثيرات ابن التلاميد في تأثيره على المنهج التعليمي والدراسي في جامع الأزهر، والذي وصف جانبا من طريقة التدريس فيه ـــوفق المنهج المحظري (التدريس الأهلي البدوي) الشنقيطيـــ الأستاذ أحمد حسن الزيات يقول: «ثم لزمته بعد ذلك إلى أن فارقنا إلى لقاء ربه، لزمته أنا وأربعةٌ أو خمسة من الرفاق؛ فكنا نصلي معه الجمعة من كل أسبوع، ثم نجلس أمامه بالجانب الأيمن من المنبر، فنقرأ عليه ساعة أو بعض الساعة، ثم ينصرف إلى داره، قرأنا عليه كتابه الحماسة ثم ديوان المعلقات، وكانت طريقته في التلقين أن يعنى بدقة

الضبط وصحة الرواية، ولا يشرح لفظا ولا يفسر معنى إلا إذا سألناه»٣٤.

ولعله من الملحظ الوجيه أن الشيخ محمد محمود أصبح ركنا مكينا من أركان الحركة العلمية التي شهدها المشرق العربي في القرنين الماضيين، كما أصبح ذا علاقة ضاربة العمق مع أحد أبرز أعلام حركة النهضة العربية الحديثة: الشيخ محمد عبده، لم تزعزعها عواصف التغير ولا سوانح الأيام، ولا قُلَّب المفاجآت؛ لأن الشيخين كانا يمتحان من معين واحد، ويستهدفان غرضا واحدا هو: إنهاض حال الأمة.

كان الشيخ محمد عبده يكاد يتمحض للقضايا الفكرية الشرعية ورؤية الإصلاح فيها، وكان الشيخ محمد محمود يتمحض لإصلاح وتهيئة ونشر أدوات هذا الإصلاح المنشود، في جوانب يتشابك فيها اللغوي والشرعي والتاريخي.

إن هذا التكاملَ وذاك التعاضدَ بين الشيخين أفاءا ثمارا لا تخطئها العين منها:

- × تأسيس بعض حقول الإصلاح التي أصل جوانب مهمة منها الشيخ محمد عبده
- × كشف كثير من كنوز التراث اللغوي والشرعي، التي ما كان ليتيسر نشرها وتحقيقها لولا علم الشيخ محمد محمود وحفظه ومثابرته
- × تكوين أجيال على يديه صارت بعد ذلك قادةَ الفكر وسادةَ القلم لعل من أمثلتها: الدكتور طه حسين وأحمد حسن الزيات وغيرهم كثير، كما ترك الشيخ محمد محمود مؤلفات عديدة٣٥.

خلاصة:

وصفوة القول أنه يجب أن يذكر الشرق فضل الشيخ محمد محمود ولد التلاميد عليه، ولكن يجب أن نذكر ـــنحن الشناقطةـــ فضلَ الشرق على الشيخ محمد محمود وعلينا؛ لقد استُنبِتَ هذا الصَّناجَةُ في الربوع الشنقيطية، واستوى فيها على سُوقِه المعرفية، فَقَطَفَهُ الشرقُ، ولكن هذا الشرقَ قد منحه البيئةَ العلمية المؤاتية، ووفر له أسباب البحث ومظانَّ تعميق العلم التي كان يفتقدها في بلده: من مكتبات مشرعة غنية، وعلاقة بالصفوة العلمية والسياسية وتَطواف علمي في مناكب الأرض، استحصد بعد ذلك في المكتبة «التلاميدية» التي تعد أغنى المكتبات الأهلية بالمخطوطات النادرة.

ويمكن أن نورد هنا استشرافا «تلاميديا» لتصنيف من سيطلعون بعده على تركته العلمية يقول: (أعرف أن الناظر في هذا المجموع كما قال الأول أحد رجال ثلاثة: إما طالب علم للمزيد من علمه، واقف من أدب العلماء عند حده ورسمه، موقن أن كل البشر سوى الأنبياء غير معصوم، آخذ بالعذر في المنطوق به من الخطأ به والمفهوم، فلمثل هذا بثثت إليه ما بثثت، وإليه حثثت من خيلي ما حثثت، فهو الأمين على إصلاح ما تبين فساده حين تخلق بأخلاق أهل العلم والإفادة. وإما متعلم يرغب في فهم ما حصل ويسعى في بيان ما أشكل، فلأجل هذا حالفت عناء الليالي والأيام، واستبدلت التعب بالراحة والسهرَ بالمنام، رجاء أن أكون ممن آثر بما أُسديَ إليه، وشَكَرَ ما أنعم الله به عليه، وإما طالب للعثرات متتبع للعورات يُضعِّف ويُقبح، ويحسن ظنه بنفسه، ويرجح ويفسد ظانا أنه يصلح، فمثل هذا لا أعترض عليه، ولا ألتفت إلى رد ولا قبول إليه، وإن كان أعرب من الخليل وسيبويه)٣٦.

ويتجلى في هذه الخاتمة المنهجية ـــالتي هي بمنزلة وصية علمية أراد ابن التلاميد أن يتركها لمن عساه يطلع على إرثه العلمي والأدبيـــ مدى تجرد الرجل ـــعلى الرغم من تفاصيل الشجار والخصام التي اتسمت بها مرحلة من مسيرتهـــ وإقراره بنسبية العمل البشري وبضرورة التواصل المعرفي بين الأجيال إقرارا بفضل السابق وتنقيحا واستدراكا عليه عند اللزوم.

ولا يخفى ـــختاماـــ أن ابن التلاميد ـــعلى الرغم من مآخذ معاصريه عليهـــ التي كان منها الموضوعي وغير الموضوعي سيبقى معلمة بارزة وذؤابة علمية أصعده إليها علمٌ غَزُرَ غزارةَ رحلاته وتجاربه، وجيلٌ حفظ منقرضٌ يعز مثيله في عصرنا الحاضر، وتمحضٌ للعلم يقترب من الاعتكاف في محاريبه، ونفسٌ مِئبَاءٌ تستقتل في سبيل ما تَعُدُّهُ حقا.

لقد أَسنَعَت أرضنا شنقيط إذ أنجبت الشيخ محمد محمود بن التلاميد، وأحسن أهل المشرق ـــوإن

خاصمه بعضهم___ إذ أحبوه وأنصفوه وبوأوه مكانةً لم يتسنمها في بلده، وقديما قيل: (مُطرِبُ الحي لا يُطرِبُ).

أهم المصادر والمراجع

١- الكتب:

× الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية، دون تحديد دار النشر أو تاريخه، ابن التلاميد التركزي.

× كتاب الأغاني لأبي الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ (ت٣٥٦هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، والدكتور إبراهيم السعافين، والأستاذ بكر عبّاس، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

× المخصص: تأليف أبي الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، دار الفكر، بدون تاريخ.

× القاموس المحيط للفيروز آبادي، منشورات دار الفكر.

× الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي –ط- الرابعة مكتبة منير موريتانيا١٩٨٩م.

× الأعمال الكاملة، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.

× البيان والتبيين، الجاحظ، طبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة.

× الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، نشر دار الكتب المصرية

× The craft of criticism. Allan Rodway. Cambridge University Press، Cambridge، ١٩٨٢.

٢- المجلات:

× مجلة الأزهر، المجلد الثاني والعشرون – الصادر شهر ربيع الثاني ١٣٨١هـ الموافق سبتمبر ١٩٦١م.

× مجلة الوعي الإسلامي، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، العدد ٥٣٢، بتاريخ ٢٠١٠/٠٩/٠٣، محمد محمود ولد محمد محفوظ، مقال بعنوان «محمد محمود بن التلاميد: حياته وآثاره».

× مجلة منتدى مركز دراسات التفسير، ٢٠١٠، د.أحمد الكوري، مقال بعنوان: «الشيخ محمد محمود بن التلاميد وتأثيره في المناهج التعليمية المشرقية (الأزهر نموذجا).

الهوامش

١ - الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية (رحلة ابن التلاميد)، المقدمة، بقلم د. محمد بن خباز، بدون تاريخ أو تحديد دار النشر، ص (أ)، وانظر أيضا ترجمته في: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط الطبعة الرابعة، مكتبة منير، موريتانيا، ١٩٨٩، ص: ٣٨١-٣٩١.

٢ - الحماسة السنية الكاملة (رحلة ابن التلاميد)، م س، ص ١٦

٣ - نفسها، ص ١.

٤ - نفسها، ص ٤.

٥ - مجلة الأزهر، المجلد الثاني والعشرون– الصادر شهر ربيع الثاني ١٣٨١هـ/الموافق سبتمبر ١٩٦١م.

٦ - طه حسين، المجموعة الكاملة، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص ٣٤٣.

٧ - نذكر منهم: أمير مكة الشريفَ عبد الله باشا بنَ محمد بن عون الهاشمي، اتصل به فأكرمه ورفع منزلته وأمره بالبقاء معه في مكة، والشيخَ محمد رشيد رضا صاحبَ المنار: كان صديقا وتلميذا لابن التلاميد، والأستاذ أحمد تيمور باشا: كان صديقا وتلميذا لابن التلاميد، والشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي: صاحب «الوسيط» في تراجم أدباء شنقيط : رد على ابن التلاميد في مسألة صرف عُمَرَ وترجم له في «الوسيط»، يقول أحمد ابن الأمين الشنقيطي مشيرا إلى مآخذه عليه : (ومن ذلك مسألة عُمَرَ؛ فإنه جازف فيها مجازفة، وادعى أن النحاة غَلِطُوا فيها منذ اثني عشر قرنا، ولم ينتبه لذلك غيره، وأن أولهم في ذلك سيبويه، فإنه غلط فيما ادعى سماعه من العرب من منعه وأن غيره تابعه على ذلك، كتقليد الأعمى وحُجته في ذلك أنه وجد مائة بيت للعرب مصروفا فيها عُمَرُ (انتهى الاستشهاد).

كما كان الشاعر محمود سامي البارودي تلميذا لابن التلاميد، والشيخ محمد توفيق البكري الصديقي شيخ الطرق الصوفية ونقيب الأشراف بمصر، نزل عنده ابن التلاميد، لما قَدِمَ مصر فأكرمه

وأخذ عنه ثم ساءت العلاقة بينهما، والشيخ أحمد البرزنجي مفتي الشافعية بمكة، اختلف معه في صحة تعبير ورد في موطأ الإمام مالك، وكان من الذين اختلفوا مع الشيخ في قضية تتعلق بالقاضي عياض السبتي، يقول ابن التلاميد ذاكرا ذلك:

يا من تعرض لي بالعلم والأدب
وهب يسألني عن مقتضى حسبي
وسب قومي في شنقيط معتديا
كأنهم قتّلوا برزبج الخشب
وعمهم كُلّهم بالسب مجتهدا
في غيه سادرا يهذي بلا سبب
وقعت دون عياض ناصرا خطأ
بالزور إفكا فلم تَصدُقْ ولم تصب

والشيخ سالم بو حاجب: مفتي تونس: اختلف معه في المسألتين السابقتين، والشيخ سليم البشري؛ شيخ الأزهر اختلف معه في حكم لبس الخفاف السوداء، وأمير أفندي بري؛ شيخ الفراشين بالمسجد النبوي الشريف، كان صديقه وترك عنده أثاثه لما هاجر إلى مصر، والشيخ عاكش اليمني الذي قَدَّمَ شرحه على لامية العرب إلى الأمير عبد الله الذي أمر ابن التلاميد أن يكتب عليه هامشا، فألف فيه كتابه: (إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب تعقبه وخطّأه، والشيخ عبد الجليل برادة نزل عنده ابن التلاميد أولَ قدومه المدينةَ المنورة فأكرمه عبد الجليل وأخذ عنه ثم ساءت العلاقة بينهما.

٨ - كان هذا السفير على حظ لا بأس من الثقافة والعلم، له وكذا نص ملك السويد ـــ وهو يزمع التحضير لمجمعه العلمي العالمي ويريد أن يختار خيرة جهابذة العلم والإتقان في علوم اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب وحضارتهم ـــ على ابن التلاميد واستدعائه له كما تفصل ذلك رحلة ابن التلاميد وكما يحكيه ـــ في ثوب شعري رصين مجلجل النبرة منبئ عن إباء واعتزاز ـــ ابن التلاميد نفسه في ميميته الشهيرة التي مطلعها:

ألا طرقت مي فتى مطلع النجم
غريبا عن الأوطان في أمم العجم

ومن أمثلة هذه الشهادات ما كتبه الأديب المصري الأستاذ أحمد حسن الزيات أيضا: «كان ابن التلاميد آية من آيات الله في حفظ اللغة والحديث والشعر والأخبار والأنساب، لا يَندُّ عن ذهنه من كل أولئك نص ولا سند ولا رواية» انظر الحماسة السنية، م س، ص ١

٩ - الحماسة السنية، م س، ص ١٠٥.

١٠ - انظر مثلا الحماسة السنية، م س، ص ص: ٥، ٦ في حديثه عن تنشئة والديه وأهله له العلم والتعلق به.

١١ - نفسها، ص ٣.

١٢ - الحماسة السنية، م س، ص ١٢.

- يراجع الفصل المتعلق بذلك في الحماسة السنية، م س، ص ص١٣

١٤ - ومن أمثلة ذلك قوله مصدرا إحدى قصائده: «والقصيدة الثانية: جواب السؤال المذكور آنفا في القصيدة الأولى والسبب الحامل على نظمها عجز أهل المشرق والمغرب عربهم وعجمهم عن الجواب وهي:

أجب أنت مذ عامين أحييت سنة
وفاقا لما سن الرسول المفضل
سألت جميع الناس شرقا ومغربا
سؤالا أتى أهل المعارف من علُ
إلى أن يقدم جوابه بأن هشاما ونوفلا هنا هما جنسان لا شخصان، وأن تسمية الأشخاص بهما مجاز من حقيقة الوضع:
هشام هو الجود السخاء ونوفل
هو البحر هذا الحق لا يتزلزل

١٥ - يشير ابن التلاميد إلى أن قول الحق والرجوع إليه عند الخطأ سنة بل فريضة مقررة شرعا، مستدلا بسؤال الله الملائكة عن الأسماء وإقرارهم بأن لا علم لهم إلا ما علمهم الله إياه وبمشاورة الرسول (ص) لأصحابه ورجوعه أحيانا لرأيهم خاصة عمر، ثم يذكر ذلك كان دأب أساتذتهم في تعليمه في المحاظر (المدارس الأهلية) الشنقيطية، يقول «وهكذا أدبنا وعلمنا أستاذتنا الأجلاء وكانوا يأمروننا ويحضوننا على تنبيهم على أدنى هفوة لسان تصدر من واحد منهم»، الحماسة، م س ، ص ص ٥٤-٥٥.

١٦ - انظر نماذج من حججه لصرف عمر: الحماسة الكاملة، م س، ص ص: ٦-٧، وانظر أيضا نماذج من ردود معاصريه عليه في: ابن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، م س، ص: ٣٨٣-

٣٨٨.

١٧ - The craft of criticism. Allan Rodway. Cambridge University Press. Cambridge، ١٩٨٢، p.١٧٢.

١٨- الحماسة السنة، م س، ص ٤.

١٩- الحماسة السنة، م س ، ص ٣-

٢٠ - نفسها، ص ٤.

٢١ - نفسها، ص ٤.

٢٢ - الحماسة السنة، م س، ص ٩.

٢٣ - نفسها، ص ٩.

٢٤ - نفسها، ص ١٣.

٢٥ - فيما يشبه ما يعرف بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني حسب تعبير ابن جني في الخصائص (الخصائص، ج٢، ص١٤٦)، وما يسمى في اللسانيات الحديثة ب: onomatopoeia .

١- الحماسة السنية، م س، ص ١٣.

٢٧ - الحماسة السنية، ص ١٤

٢٨ - كما يقول الجاحظ «كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع» (البيان والتبيين، الجاحظ، طبع مطبعة لجنة التأليف والنشر، المجلد ١، ص ٢٧١)

٢٩ - انظر مثلا: الحماسة السنية، م س، ص ٣. وص١٠٥.

٣٠ - يمكن قراءة هذا المقصد العلمي وهذه الرسالة الحضارية الثقافية من ثنايا حديث ابن التلاميد نفسه في اعتزازه بالعلم وفخره به وإشادته – بكل ذلك شعرا ونثرا – كما يتضح من بعض قصائده وإشاراته النثرية في رحلته (مثلا قصيدته الميمية التي أوردنا نماذج منها أعلاه، وقوله في خاتمة الرحلة: «(وإما متعلم يرغب في فهم ما حصل ويسعى في بيان ما أشكل، فلأجل هذا حالفت عناء الليالي والأيام، واستبدلت التعب بالراحة والسهر بالمنام، رجاء أن أكون ممن آثر بما أسدي إليه، وشكر ما أنعم الله به عليه»)، الحماسة السنية، م س، ص ١٣٠.

٣١ - كتب الشيخ محمد رشيد رضا في مجلته المنار يقترح على إدارة الأزهر أن تستفيد من علم الشيخ التركزي وتقره مدرسا لعلوم اللغة العربية، وهي الفنون التي كانت تعيش عصر ازدهار في المحضرة الشنقيطية، ويوازي ذلك عصر ضعف في المشرق – د/ أحمد الكوري، مجلة منتدى مركز دراسات التفسير، ٢٠١٠.

٣٢ - يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «وُجد في مصر عالم من علماء اللغة يُعَدُّ في طبقة الأئمة الحفاظ الذين وضعوا لها المعاجم، ودوَّنوا الدواوين وهو الشيخ محمد محمود الشنقيطي، فلم يعرِف له فضلَه أحدٌ من علماء الأزهر ويرشد الناس إلى الانتفاع بعلمه إلا مفتيَ الديار المصرية الشيخ محمد عبده، وكان ينبغي لشيخ الأزهر أن يندبه لقراءة أشعار العرب وأراجيزهم في الأزهر، وقراءة بعض الكتب النافعة ككتاب سيبويه، وكتاب الكامل للمبرد، ويأمرَ العلماء ونجباء المحاورين بالتلقي عنه إذا كانوا يودون إحياء اللغة، ولا يحيا الدين إلا بحياة لغته ___ مجلة المنار، المجلد: ٤، العدد الصادر بتاريخ: ١٣١٩/٥/١٦هـ/١٩٠١/٨/٣١ م، ص ٤٤١.

٣٣ - الحماسة السنية، م س، ص ٩.

٣٤ - مجلة الأزهر، العدد ٢٢ بتاريخ ١٣٨١هـ/ ١٩٦١ م.

٣٥ - إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب، رد به على عاكش اليمني في شرحه للامية العرب.

- الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية، تحدث فيها عن حياته ورحلاته وعلاقاته بمعاصريه وذكر فيها أشهر شعره.

- بنيان العلم المرصص في أوهام المخصص، حاشية وضعها على المخصص لابن سيده عندما صححه للطبع وطبعت معه.

- تصحيح الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وقد جمع فيه الأخطاء التي وردت في طبعة بولاق من كتاب الأغاني وصححها وزاد عليها.

-تصحيح القاموس المحيط للفيروز آبادي.

- تصحيح الخصائص لابن جني.

- تصحيح لسان العرب لابن منظور.

- الدرر في صرف عمر.

- شرح المفصل.

- أشهر الكتب العربية بخزائن مكاتب دولة أسبانيا الذي كلفه به وموّله السلطان عبد الحميد الثاني
- مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية رقم: ١٨٦٧٥
- طهارة العلم جمع فيه أخطاء طائفة من علماء الحجاز.
- رسالة في مسألة صرف عمر.
- عذب المنهل في مسألة صرف ثعل.
- عروس الطروس.
- شرح المفصل في النحو.
- هوامش على كتاب الخصائص لابن جني.
- تحقيق على المعلقات السبع مع ذكر رواياتها وأنساب قائليها.

٣٦ الحماسة السنية، م س، ص ١٣٠.